



لقد سبق اثنان من بين متكلمي الشيعة وهما مهدى بـن محمـد النجفـى الأصفهاني (المولـود في 1298 هــ)، ومحمــد أبــو المجــد الأصفهانــي (1278_1361هـــ) لنقــد ومناقشــة نظريـة التكامـل. فقـد تصـدى الأصفهاني في كتــاب (المرتفــق) لنقــد وتحليــل الدارونيـــة. وأمّــا أبــو المجــد الأصفهانـــى فحـــرر كتابـــاً مستقلاً بمجلديان عنوانه (نقد فلسفة دارون). وذكر صاحب الذريعــة كاتبــاً باســم اقا رضًا الأصفهاني، وقال: إنه ألَّفَ هـذا الكتاب في عهد الشباب، حيث انتشرت نظريـــة دارون في إيــران. وكتــب جميــل صدقــي الزهــاوى الفيلســوف والأديــب الكــردى نقــداً عليــه، ممــا حــدى بأبــي المجــد الأصفهانــي على تدويــن (القــول الجميــل إلــى صديقــي الجميـل) كإجابــة وردِّ على الــرد.

وكان عالـم الأحيـاء الإنجليــزي جارلــز دارون (1809 ـ 1882م) قــد توصــل إلـــى نظريـــة التكامل التدريجي والطبيعي للأحياء بعيد دراســات كثيــرة، وألــفَ عــدة كتــب مهمــة أولهــا وأهمهــا كتــاب (منشــأ الأنــواع). وقــد أحدثــت نظريتــه تحــولاً في الطبيعيــات وبتبعهــا في علــم الأجنــاس البشــرية (الأنثروبولوجيـــا=Anthropology)، وحتـــى في علـم الـكلام والأخـلاق. ممـا شـكل تحدّيـاً جديًاً للنظريات السابقة، ولـم تتعـرض نظرية التكاميان للتعاليم المستحية فحسب، بــل أرغمــت علمــاء ومتكلمــى المسلمين على التفكيــر والتأمــل.

ورغــم أن دارون نفســه كان يرفــض تهمــة الإلحاد وإنكار الدين، ولم يكن يعتقد بالتعارض والتنافى بين كشوفاته العلمية والديــن. لكــن، الفهــم العــام للمتكلميــن هــو تعارضها مع الديـن، ولهـذا تصـدّوا لنقودهـا

■ أمــا تاريــخ تعــرّف المســلمين على هـــذه النظريــة ودخولهــا العالــم الإســلامي، فهــو باختصار كالاّتــى:

الإيرانيـون ومنــذ عهــد أميــر كبيــر وتأسـيس دار الفنـــون تعرّفــوا بالتدريـــج على العلـــم والفلســفة الغربيــة. وقــد ترجمــت بعــض كتـب الغـرب العلميــة إلــى الفارسـيـة، فمثــلا ترجــم أميــل برنــه، والعــازار رحيــم موســائـي الهمدانـــى المشــهور بـ(لالــه زار نـــو) كتـــاب (مقـــال في المنهـــج) لديـــكارت بعنـــوان (حكمـت ناصـري) أو (كتـاب ديـكارت)، وطُبـع عـــام 1279 هـــ وأورد, الميـــرزا تقـــي خـــان الأنصــاري الكاشــاني الأســـتاذ في دار الفنـــون شـيئاً مـن آراء دارون في كتــاب (جانــور نامــه =الأحياء) الـذي كان منهجـا دراسـياً في تلـك المدرســـة، وذلــك عــام 1278هـــ أي بعــد نشــر كتــاب (أصــل الأنــواع بنــاءً على الانتخــاب الطبيعـــي) بقليـــل. وترجـــم علـــي بخـــش قاجــار (كتــاب ليــودور) أو (الكتــاب الذهبـــى) تحــت عنــوان (أســرار الوجــود) وذلــك عـــام 1291. هــذا الكتــاب نظــم في خمســة فصــول تتحــدث عــن التاريــخ الطبيعــى واكتشــافات القــرن التاســع عشــر الميـــلادي، واختــص فصلــه الأخيــر بســيرة عــدد مــن العلمــاء

والمكتشــفين الكبـــار.

الدارونية وبدايات الشيعيا الدارونية وبدايات ومطالعة

■مقال

🔔 الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأى «الآفاق» بالضرورة ، بل تعبر عن رأى أصحابها

ولا تختلـف الحالـة في بقيــة البلــدان الإسلامية عن إيران، فقد ترجم إسماعيل مظهــر كتــاب دارون تحــت عنــوان (أصــل الأنواع ونشوئها بالانتخاب الطبيعي) وطبع لأول مــرة في اللغــة العربيــة ونشــر في القاهرة سينة 1928، وتُرجم نفس هذا الكتــاب مرتيــن في إيــران؛ ترجمــه عبــاس شــوقي أُولاً في طهــران ســنة 1318 بعنــوان (بنیاد أنواع به وسیله انتخاب طبیعی یا تنــازع بقــاء در عالــم طبيعــت = أصــل الأنــواع عـن طريــق الانتخــاب الطبيعـــى أو تنـــازع البقاء في عالم الطبيعة)، وبعد ذلك ترجمـه نـور الديـن فرهيختـه بعنـوان (منشــاً انــواع = منشــاً الأنــواع) ونشــره في طهــران ســنـة 1357.

■ وكانـــت أهــم الأعمــال المبكـــرة الأخـــر للباحثيــن العــرب بهـــذا الترتيــب:

كتب إبراهيم بن عيسى الحوراني (المسـيحي) نقديــن للمذهــب الدارونــي بالمواصفات التاليــة:

1ـ الحـق اليقيـن في الـرد على بطـل دارون، بيـروت 1886 م.

2ـ مناهــج الحكمــاء في نفــي النشــوء والارتقاء أي إبطال مذهب دارون، بيــروت ولمــا كان شــبلي الشــميل مــن المثقفيــن

والمروّجيــن للدارونيـــة، فقــد تصــدّى أحـــد المفكريـن المسـيحيين اللبنانييـن لنقـد آرائه في كتاب وسمه بـ(أصل الإنسان والكائنات)، والــذي نشــره في بيــروت ســنة 1890 م. وقامت مجلــة المقتطـف التــي اســتهوتها

البحوث الحديثة بنشر عحة مقالات لبيان وتحليـل الدارونيــة، وإحــدى هــذه المقــالات لمحمــد صالــح غنــوم تحــت عنــوان (دارون ومذهبــه عنــد العــرب) المنشــور في المجلــد 35 لسنة (1909م) من تلك المجلة.

وكان محمــد فريــد وجــدي مــن منتقــدي هــذه النظريــــة، وقــد نشــر مقالتــه (مذهــب النشــوء والارتقــاء في الميـــزان) في مجلـــة نــور الإســـلام عــدد (شــوال 1352) (14).

ويشــير انتشــار كتابــي (المرتفــق) (و نقــد فلسـفة دارون) الناقدَيْــن لـدارون بعــد نصـف

قـرن مـن نشـر كتابـه الاصلـي إلـى اهتمـام ووعـــي علمـــاء الشــيعة، ويحكيـــان عـــن قلقهـم الإيمانــي.

يحتــوى (المرتفــق) على الأبحــاث التاليـــة: ردّ فلســفة دارون، أدلــة إثبــات البــاري تعالــى، علم النجــوم الحديــث ودلالــة الروايــات والأخبار عليه، ردّ الهيئـة القديمة، الفلسـفة اليونانيـــة، أصـــول الديـــن، ردّ المســيحية، جامعيـــة الإســــلام، الأخــــلاق الإســـــلاميــة، فلسفة الاحكام والإسلام، عدم التنافي بيـن العلـم والديـن وتوافقهمـا، أدلـة أهميــة الديـن الإسـلامي، إثبـات الـروح.

وقد انبرى الكاتب بعد بيان برهان النظم وإثبــات البـــاري تعالـــى في ســـت صفحـــات، لنقــد نظريــة دارون، ويمكــن القــول إن الإشكال الأساســـى، بــل الوحيــد الــذي سـجـله مهــدى الأصفهانـــى على نظريـــة دارون هـــو القـول بـأن الخلـق نشـأ صدفـة واتفاقـأ، وهذا لا ينسجم مع برهان النظم، وعبارته هـى: يقـول الطبيعيـون إن الإنسـان وُجــد بنفســه، وحصلت تلك الهيئة في هذا التركيب من بــاب الصدفـــة، والحـــال أنهــم يعلمــون ويــرون أن هيئــة الإنســان لا توجــد نفســها بنفسـها بــلا صانــع، وكيــف يكــون الإنســان الــذي في كل جــزء منــه ألــف حكمــة حيّــرت العقــول أوجـــد نفســـه بنفســـه؟ وأن الموجـــودات البدائيــة تنازعــت في البقــاء وبقــي الاقــوي منهـــا، وأن الإنســـان كان في الأصـــل أجـــزاء متفرقــة واجتمـع وانتظــم بمــرور الزمــن، وأن فلســفة النشــوء والارتقــاء هــي لــدارون الإنجليــزي، الــذي يــرى أن المــادة هــي أصــل

و الكاتب يقع في اشتباه، وهـو نسـبة تكــوّن عالــم الطبيعــة مــن الغــاز لــدارون. ونقـود الأصفهاني سـطحية وغيـر تخصصية، ومــع الأخــذ بنظــر الاعتبــار أنــه لــم يذكــر مصادره، فانــه ينقــل عــن دارون قائــلا: إنــه يـرى أن أصـل العالـم مـادة سـيّالة أخـف مـن الهــواء تســمى بالأثيــر، وقــد مــلأت الفضــاء، وأجزاؤها في حركــة دائمــة، وليــس لوجودها ولا لحركتها سبب، بـل كانـت صدفـة، واحياناً تجتمع هــذه الأجــزاء مــع بعضهــا وتكــوّن

وقــد رتّبــت أبحــاث هـــذا الكتـــاب بهـــذا

المجلح الأول: ويشتمل على ثلاث مقالات: الإســـلام والدارونيــــة، تطـــور الأحيـــاء، تنـــازع البقاء والانتخاب الطبيعـي.

ويحتــوي المجلــد الثانـــي على بحثيـــن: أدلــة إثبــات البــاري تعالــى ونظريــة التكامــل، وفائــدة الديــن والدفــاع عنــه.

وفى مطلع المجلد الأول بحث المؤلف وقـــارن في مقدمـــة طويلـــة دخـــول الآراء العلميـــة والفلســفية لليونـــان في الماضــي، ودخول الأفكار العلمية الجديدة من الغرب إلـى العالـم الإسـلامي، وشـرح تأثيـرات العلوم الجديـــدة على المســـلمين.

■الباحث: أ. محمد نوري

■ترجمة: علي آل دهر الجزائري

أجســـاماً مــن مــادة الســـديم، وبانجـذابهــا إلـــى

والحـــال أن دارون والمذهـــب الدارونـــي كان

بصدد نظريــة التكامــل الحيــوي للأحيــاء، ولــم

يطِرح أي نظريــة حــول تكــون الأرض والكــرات

ونحـن لا نــدري هــل أنّ الكاتــب كان قــد

اطّلع على أصـل كتـاب دارون أم لا؟ سـيما

وأنّ كتـاب دارون قــد عــرّب بعــد ذلـك الكتــاب؛

لأَنّ (المرتفــق) قــد حُـــرر في 4 ربيـــع الاَول

1313 بينمـــا التعريـــب في ســـنة 1938، وقـــد

وسـم الكاتـب دارون بالبلاهـة والبـلادة. وبعـد

عــدة ســنوات ظهــر كتــاب (نقــد فلٕســفة

دارون) بالعربيــة وهــو أعمــق وأحكــم أســلوباً

مـن (المرتفـق)، وعنـوان هـذا الكتـاب (نقـد

فلســفة دارون) وطبــع مــرة واحــدة في

على الغــلاف هــو: أبــو المجــد الشــيخ محمــد

رضــا آل العلامــة التقــي الأصفهانــي، ويبــداً

الكتــاب بهـــذه العبــارة: «كُتــب دارون وســائر

رؤساء هـذه الفلسـفة عندنـا غيـر موجـودة

وبلادنـا عـن البـلاد التـى نشـأت فيهـا هـذه

الآراء بعيــدة». وتنبــئ هــذه العبــارة عــن أنّ

المصادر الأصليــة للدارونيــة لــم تكــن متوفــرة

لديـــه، وكان تحليلــه ونقــده على أســاس

نقــول الآخريــن، وهــو لا يشــير طبعــاً إلـــى

يعتقــد الكاتــب أنّ بعــض النــاس اعتبــروا

هـذه النظريــة أســاس التعــارض مــع الديــن،

وترويح الزندقـة والإلحـاد، وإنـكار الشـرائع؛

لكنــه يــرى أنَّ فيهــا شــيئاً مــن الحقيقــة، ولا

يمكـن الادعـاء أنَّهـا مخالفـة للديـن بالمـرة،

ويفهــم الكاتــب أنّ دارون بيّــن نظريتــه في

ضـوء المعطيــات والبحــوث العلميـــة، ولــذا

فــانٌ تعارضهــا أو توافقهــا مــع الديــن هــو

في الحقيقــة نــوع مــن العلاقــة بيــن الديــن

والعلـم، ويجـب أن تناقـش في ضـوء قواعــد

حــل التعــارض بيــن العلــم والديــن؛ ولهـــذا

يمكــن القــول إنّ هــذا الكتــاب مــن أوائــل

المصــادر التـــي طرحــت فكــرة التعــارض أو

التـــوازي بيـــن الديـــن والعلـــم في الثقافـــة

مصادر نقلـه.

بعضها تتكون كرات كبيرة.

وفى المقالـــة الأولـــى مـــن المجلـــد الأول يـرى الكاتـب أنّ نظريــة التكامــل تعــارض بعـض التعاليـم الدينيــة في بعـض المسـائل كمعرفـــة الإنســـان دينيـــاً لا في جميـــع المعارف والتعاليم. وهو يعتقد أنّ هذه النظريــة لا تعــارض المعــارف الدينيــة في معرفــة الله تعالــى. وقــد ذكــر بالتفصيــل شــارحاً تصريحـــات العلمــاء الذيـــن يقبلـــون هــــذه النظريــــة ويقولـــون إنّ الله تعالـــى موجـود. وتحليـلات الكاتـب في هـذا البحـث الناظرة إلى درء تعارض العلم والدين مفيدة وتستحق المطالعة. وتنصب جهود المؤلف على مناقشــة التحــول و التطــور في الكائنات الأوليــة إلــى الأحيــاء إلــى أن تصــل إلــى القــرد والإنسان ومخالفة أو موافقة ذلك لتعاليم

وفي المقالــة الثانيــة وضّـح تنــازع بقــاء الأحيـاء والانتخـاب الطبيعــى في دوامة تنازع البقاء. ويـرى المؤلـف أنّ معرفـة الإنسـان في ضوء المذهب الداروني لا يتناسب مع شأن وكرامـة الإنسـان.,

وفى المقالــة الأولــى مــن المجلــد الثانـــى يشرح المؤلف النتائج الكلاميةلنظريــة التكامـل في بحـث معرفـة الله. وفي المقالة الثانيـةطـرحضـرورةالديــنوفوائــدهللبشـرية. وتحكى هذه المؤلفات اهتمام علماء ومفكري المسلمين بالأبحــاث الجديــدة، وتعبر عـن قـدرة الـكلام الإسـلامي وقابليتــه على تحليــل الموضوعــات الجديـــدة في العصر الحديث.

إنّ تعـارض وتـوازي العلـم والديـن لـم يكـن همّـاً شـغل ذهـن الغـرب فقـط، بـل دفـع بعـض مفكـري العالـم الإسـلامي إلـى التأمـل والكتابـــة، وقـــد دونـــت بعــض المؤلفــات الجيحة منـذ مـا يربـو على قـرن مـن الزمـان. وليست المسائل الدينيــة والمعضــلات الإيمانيــة للجيــل الجديــد مرهونــة بمباحــث الصورة والهيولى ونظائرها من المسائل البعيدة عن الحياة الدينية، بل هي ذلك القلـق الذهنـي والشـبهات الجديـدة التـي واجهت الدين بعد عصر النهضة، ولا سيما في القرنيــن الأخيريــن، ولـــذا فـــاِنَّ هكـــذا مؤلفات ستكون دليلاً لمعالجة معضلات الجيــل المعاصــر.

المصدر: مجلة المنهاج، العدد: 48، السنة: السنة الثانية عشر شتاء 1429هجـ 2008 م